مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 4 العدد01 جانفي 2021 ص ص: 47-62
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الدور السياسي للرقيق الأفارقة في مصر وبلاد السودان

Egypt and Sudan The political role of slave African in

بشار أكرم جميل الملاح ♦

جامعة الموصل، العراق، basharj@rocketmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/10/19 تاريخ القبول: 2020/12/23 تاريخ النشر: 2021/01/16

الملخص باللغة العربية: يعالج المقال مسألة الدور السياسي للرقيق الأفارقة في السودان الغربي ومصر كنموذج للولايات الإسلامية في العصور الوسطى، ولاسيما تسلمهم مناصب حكم البلاد، فضلاً عن اشتراك بعضهم في الاضطرابات التي حدثت في مصر خلال حكم الايوبيين للبلاد، ولم يترك الإسلام الرقيق حتى بعد تحريرهم فقد دعمهم وشجعهم، لا بل قبل بهم كحكام لممالك ودول إسلامية ولاسيما في مصر وبلاد السودان، فقد حكم عدد من الرقيق الأفارقة المحررين تلك الدول والممالك وحلوا محل حكام تلك البلاد، وعمدت شعوبهم على السمع والطاعة لهم ككافور الاخشيدي وغيره الكثير، كما شارك الرقيق الأفارقة في ثورات ضد السلطات الحاكمة في الدولة العربية الإسلامية، فضلاً عن ذلك فإن المطلع على تفاصيل المقال يستطيع ان يقارن بين مكانة الرقيق في ظل الاسلام ومكانتهم لدى الاوربيين، وكل تلك القضايا سوف يتطرق لها البحث في ثناياه.

الكلمات المفتاحية: السودان؛ ثورات؛ الرقيق؛ مصر؛ أفارقة.

Abstract: This article addresses the issue of the political role of African slaves in the Ouestern Sudan and in Egypt, especially the governmental positions that was granted to them as well as the involvement of some of them in the troubles that occurred in Egypt during the Ayyubids rule, and Islam did not abandoned slaves but

♦ المؤلف المرسل

rather accepted them as rulers of the kingdoms And Islamic emirates, especially in Egypt and the ouestern of Sudan, a number of freed African slaves ruled these countries and kingdoms and took the place the former rulers, and been followed by the populace, as did Kafford Al-Akhshidi and many others, and the African slave also participated in revolts against the ruling authorities in the Islamic Arab state, and all Those issues will be discussed in its folds.

Key words: Sudan, revolt, slaves, Egypte, Africans

مقدمة: حظى الرقيق في الدولة الإسلامية بمكانة تقترب من مكانة الاحرار، فالإسلام لم يفرق بين الناس على اساس اللون او العرق او الحرية والعبودية وإنما جعل التقوى هي اساس التعامل والمفاضلة، وعلى الرغم من ان الإسلام لم يصدر قراراً بتحريم الرِق لكنه حل مشكلة الاسترقاق جذرياً حينما جفف منابعه وحصرها في رق الحرب (الأسرى) والرق بالوراثة، ومن ثم فتح أبواب متعددة لتحرير أولئك الرقيق عبر تحرير ذوي القربى وتحرير رقبة عند المرض وعند حدوث ظواهر طبيعية، فضلاً عن كون تحرير رقاب الرقيق تكون حلاً وكفارة للإفطار بدون عذر او الحنث باليمين أو القتل الغير المتعمد، وهكذا كانت عملية تحرير الرقيق باباً للقضاء على الرق، فضلاً عن توصيات إلهية وتوصيات الرسول محمد ﷺ بحسن معاملة من لم يتحرر منهم.

ونتيجة لتلك التوصيات اتخذ الرقيق عموماً والأفارقة منهم خصوصاً مكانة مشابهة كثيراً لمكانة الاحرار، ونقول الافارقة كونهم كانوا الأغلبية من بين الرقيق ولاسيما في العصور الإسلامية الاولى، ووصل عدد منهم إلى مناصب سياسية وعسكرية مهمة والتي ينوي البحث طرحها ومعالجتها، وبيان تقبل الرعية لذلك الحاكم او الوزير او القائد العسكري الذي هو رقيق او ممن كانوا رقيق وتحرروا.

وسيعالج البحث ذلك الموضوع في منطقتين جغرافيتين الأولى موطنهم الأصلي في بلاد السودان التي سميت كذلك من قبل المؤرخين والجغرافيين المسلمين تبعاً للون بشرة السكان وتمييزاً لها عن الصحراء الكبرى التي سمي سكانها بالبيضان، والمنطقة الجغرافية الثانية مصر التي تمتلك مع موطن اولئك الرقيق حدود وصلوا عبرها عبر قرون عدة ليعملوا في بلاطات حكامها.

والهدف من خوض غمار البحث هو إثبات مصداقية العرب المسلمين في تعاملهم مع الرقيق على عكس تعامل الاوربيين النصارى مع الأفارقة عند وصولهم الى القارة، أما الإشكالية التي سيعالجها البحث فتتمثل في التأكيد على حسن تعامل المسلمين مع الرقيق عموماً ومع أولئك الرقيق السودان خصوصاً، وسيجيب بوضوح عن التساؤل القائل هل ظلم الرقيق السودان على يد العرب في مصر وغيرها من البلاد أم لقوا مكانة كبيرة وحسن معاملة؟ **ينظر صورة رقم (1)**

خارطة رقم (١) توضح الموقع الجغرافي لبلاد السودان وفيه أبرز الممالك والدول الإسلامية .

شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر ، ط٥،(دمشق : ٢٠٠٢)

وسيتبع البحث المنهج التاريخي القائم على عرض النصوص وتحليلها، إذ تم جمع المادة العلمية من ثنايا المصادر والمراجع التي تناولت بلاد السودان وتطرقت بوجه خاص لمسألة الرقيق، ومقارنتها بتلك التي تحدثت عنهم في مصر والتي وصلوا إليها وهم رقيق وحصل الكثير منهم على حريته هناك، ومن النتائج التي يحاول البحث إثباتها نجاح المسلمين في تغيير نظام الرِق بشكل جذري وتحويله من نظام تعسف وقهر وظلم مارسه الهنود القدماء واليونان والرومان والفرس وعرب قبل الاسلام، إلى نظام تسامح ومساواة

وعدل، وهو ماحص فعلاً عبر ايجاد منافذ كثيرة للتحرير سبقها توصيات الله تعالى للمسلمين بحسن معاملة الرقيق تبعتها توصيات الرسول محمد ﷺ بذلك، الأمر الذي ميز المسلمين عن غيرهم من الشعوب

2. دور الرقيق السياسي

1.2 . دورهم في بلاد السودان:

كان للرقيق دور بارز في الحياة السياسية للدولة العربية الإسلامية، ففضلا عن مشاركتهم في الجيوش العربية الإسلامية فقد تولوا قيادة بعض فرق تلك الجيوش[1]، وفي بعض الاحيان كانوا قادة سياسيين[2]، فالإسلام عد الناس اخوة لا يميزهم إلا التقوى والايمان[3] ولهذا كان للتعاليم الإسلامية تأثير واضح على المسلمين في افريقيا على الرغم من وجود بعض المؤثرات الطبقية الداخلية التي ورثها الافارقة أنفسهم عن اسلافهم الوثنيين[4] وعلى هذا الاساس فقد تسلم العديد من الرقيق أو من الذين تعود اصولهم إلى الرقيق مناصب سياسية هامة.

ومن خلال ملاحظة دور الرقيق السياسي نلاحظ استلام البعض منهم مناصب سياسية وادارية قد تصل إلى حد منصب السلطان كما حصل في دولة مالي حينما اغتصب ساكورة[5] الحكم من أبي بكر حفيد ماري جاطة الذي حكم البلاد من (674-684هـ/1275-1285م)[6]، فتسلم ساكورة الحكم في تلك السنة وكان رجلاً ذا امكانيات

---

1 L.A Lugard, Atropical depend ency (Anoutline of the Ancient History of the western sudan) London: 1964, p. 145.

2 البكري، أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، الجزائر، ط1، 1857، ص149

3القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، 1988، ج16، 323.

4حركات إبراهيم، تجارة الرقيق في أفريقيا من خلال الموقفين العربي والأوربي- بحث منشور في كتاب مسألة الرق في أفريقيا، تونس : 1989، ص 78.

5 ساكورة : : لقد ورد الاسم بصيغ متعددة في المصادر العربية فقد ذكره القلقشندي باسم ساكورة. انظر: القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، بيروت، 1987، ج5، ص294. كما سماه ابن خلدون ساكبورة. انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1956، ج6، ص130. وسماه المقريزي صاكورة. انظر: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك، القاهرة :1955، ص111. وهو احد موالي اسرة كيتا ومن الصعوبة معرفة اصله. انظر :

E.J. Murphy, History of African Civilization , New York, 1979, P. 117

6 طرخان، إبراهيم علي، دولة مالي الإسلامية، القاهرة، 1973، ص68.

عالية وله شعبية كبيرة في اوساط الماليين[7]، اذ اصبح في نظر الشعب الحاكم القوي الذي اعاد إلى مالي هيبتها وحرص اشد الحرص على مد نفوذها[8]. (صورة رقم 2)

صورة رقم 2 : خارطة دولة مالي الإسلامية وطرق تجارة الرقيق
الدالي، مملكة مالي الاسلامية، ص196

لقد شن ساكورة الكثير من الهجمات على اعدائه من اجل استعادة ممتلكات مالي، فقد بدأ بالهجوم على صنغاي واخضاعها بعد أن خرجت عن سيادة مالي، اذ استولى على العاصمة غاو والمنيعة على من سبقه من السلاطين[9]، كما افتتح كوكو، واشار إلى ذلك ابن خلدون[10] بقوله "وافتتح بلاد كوكو وأصارها في مملكة أهل مالي" فاتسع نطاق مملكته

7 Murphy , 1979 , p. 117

8 . طرخان، 1973، ص67

9 Lugard , 1964 , P. 120.

10 . العبر، 1956، ج6، ص200

ليصبح مسيطراً على أراضي واسعة تمتد من المحيط الأطلسي إلى بلاد تكرور فقوي حكمه وحسب له اعدائه ألف حساب[11].

لقد عدت فترة حكم ساكورة من أكثر الفترات نشاطاً في حياة امبراطورية مالي، فبعد أن أعاد السيطرة على السنغاي[12] تحرك إلى قبائل التكرور[13] واخذ العهد منهم بالولاء لدولة مالي ثم عمل بعد ذلك على متابعة الشؤون الداخلية فعاقب عدداً من رؤساء الاقاليم التابعة له وذلك لعبثهم بأموال الدولة.

إن استلام ساكورة الحكم وان كان عن طريق الاغتصاب لدليل على تسامح الإسلام مع الرقيق والموالي فقد أطاع سكان مالي ذلك العبد المعتق وسمعوا له، وامتاز النظام الاجتماعي في ظل الإسلام بالانفتاح فكان يمكن للرقيق الانتقال من فئتهم إلى فئة الاحرار بسهولة[14].

ولهذا لم يكن وصول ساكورة إلى الحكم أمراً غريباً يصعب على السكان تقبله، فقد وصل الرقيق المحررين المنتمين إلى طبقة اجتماعية تسمى البولا[15] إلى مناصب متعددة وفي غانة تسمى هذه الطبقة كوسا[16].

---

11 القلقشتدي، 1987، ج5، ص264.

2 السنغاي : هي قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية اولا ثم انتقلت إلى الشمال وأسست حوالي القرن الأول الهجري / السابع الميلادي دولة عرفت اطوار القوة والضعف وتدهورت اوضاعها قبل أن يتولاها الاساكي لتصبح دولة متكاملة وقوية تحت حكمهم. انظر : الوزان، وصف افريقيا : 2/هامش رقم 6، ص182.

13التكرور : وهي مملكة واسعة دخلت الإسلام في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وتمكنت من الأحتفاظ بأستقلالها ضد توسع جارتها الشرقية غانة ثم خضعت لدولة مالي ثم السنغاي، وقد برزت تلك المملكة في القرن التاسع عشر الميلادي في غرب أفريقيا وكان لأهلها دوراً بارزاً في جهاد الاستعمار الفرنسي. ينظر : طرخان، 1973، ص120. ويذكر الادريسي أنها في جنوب النيل وبينها وبين مدينة سلى مسيرة يومين في النيل. ينظر :، 1913 ،ص3. فتاح، فوزية يونس، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل ، العراق، ط1، 1996، ص203.

14 murphy,1979,p117

15 البولا: هي طبقة الرقيق المحررين في دولة مالي بلغة الماندنجو ويقابلها طبقة الكوسا في غانا وقد لعب افراد تلك الطبقة دوراً كبيراً في دولة مالي فكان فيهم قادة الجيوش وحكام الولايات وجباة للضرائب وكبار موظفي الدولة. انظر: نوري، دريد عبد القادر، تاريخ الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء من القرن (4هـ-10هـ/10-16م)، موصل، 1985، ص282.

16 طرخان، 1975، ص118.

إن ظاهرة استلام الرقيق للسلطة بدأت داخل افريقيا منذ عهد دولة غانة إلا أنها أصبحت اكثر وضوحاً في عهد دولة مالي، التي وصل فيها بعضهم إلى مناصب خطيرة ومهمة، كما حصل مع ساكورة وغيره، وهذا يدل على تسامح الإسلام مع الرقيق عل عكس الحظر المفروض على الرقيق في اوربا والعالم أجمع من غير المسلمين والتي لا يمكن للرقيق فيها ان يتخطوا طبقتهم ومهنتهم[1].

لقد أهتم ساكورة بالإضافة إلى اهتماماته العسكرية بالنواحي الاقتصادية ومنها التجارة، فقد ازدهرت تجارة بلده إذ وصفها القلقشندي بقوله "رحل اليه التجار من بلاد المغرب وافريقية" وهذا دليل على استقرار البلاد في عهده وعدم وجود مشاكل داخلية كبيرة، كما كان ذلك الحاكم مثالاً للحكام العظماء، فقد كان ملتزماً بتعاليم الشريعة الإسلامية، وذهب إلى مكة للحج سنة (700هـ/1300م) وزار مصر خلال رحلته في فترة حكم الناصر محمد بن قلاوون الثانية (696-708هـ /1298 –1308م)[2] وتمت رحلته من خلال طريق القوافل الشرقي عبر النيجر إلى واحات مصر[3]، وفي طريق عودته – بعد اداء اداء فريضة الحج – إلى بلاده سنة (700هـ/1300م) قُتل على ايدي الدناقل، فحملت جثته واودعت عند ماي البرنو وهو ابراهيم بن دونمة[4] الذي قام بتبليغ أهل مالي بالخبر فبعثوا من تسلم الجثة لدفنها في مالي[5].

وبموت ساكورة أنتهى العهد الذي حكم فيه أحد الرقيق المحررين دولة مالي وبعدها عاد العرش إلى اسرة كيتا[6] إذ توج منسا قو بدلاً عنه (700-705هـ / 1300-1305م) ثم اعقبه اعقبه منسا محمد (705-710هـ / 1305-1310م) ليستقر الحكم في يد حكامه الأصليين،

---

1 . فتاح، 1996، ص186

2 . القلقشندي، 1957، ج5، ص194

3 طرخان، 1975، ص69.

[4] ابراهيم بن دونمة : هو الماي الحاج ابراهيم بن بيرى، حكم البلاد من 1300/1321م إذ قتل على يد حاكم الشمال في البرنو. انظر:

H.R.Palmer, The Bornu Sahara and Sudan , London:1936 , P. 92.

ولقب دونمة يعني أبن الملك. انظر : طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، القاهرة، 1975، ص211

5 . القلقشندي، 1987، ج5، ص194

6 اسرة كيتا: هي من اهم الأسر في تاريخ دولة مالي وهناك اختلاف حول اصول هذه الأسر فمنهم من ينسبها الى موسى ديجو المسمى الاكوي الذي حكم مالي حولي سنة 1200م ومنهم من ينسبها الى اليمن. انظر :طرخان 1973، ص34

وتذكر بعض المصادر أن قتل ساكورة كان في منطقة تاجورا[1] وهو في طريق عودته من الحج. لقد كان الرقيق والمحررين منهم يملكون ولاءاً مطلقاً للسلطان لأنه صاحب الفضل عليهم بحسن المعاملة ومن ثم التحرير واسناد وظائف سياسية وادارية مهمة لهم لا يمكن اسنادها إلا إلى اقرباء الملك واصدقائه ولهذا كانت تمرداتهم على الحكم قليلة جداً[2]

وقد تسلم الرقيق السلطة في دولة مالي مرة اخرى على يد صندكي[3] الذي كان رئيساً للخدم _ عام (790هـ - 1388م)، إذ شغل قبل استلامه الحكم المركزين معاً، فقد كان وزيراً ورئيساً للرقيق وكانت له مكانة كبيرة في الدولة فقد تزوج من أم السلطان موسى الثاني في عام (791هـ — 1388م) فغالباً ما يسيطر الصندكي على مقاليد الأمور إذا كان السلطان ضعيفا"،كما حصل في عهد منسا موسى الثاني (ت790هـ/ 1387م)[4] فأستبد وزيره ماري جاطة بالامور في البلاد، وكان عهد صندكي حافلاً بالاضطرابات السياسية إذ رافقت التطلع إلى السلطة العديد من الصراعات الداخلية التي أضعفت الامبراطورية، فقد كانت الاضطرابات حول السلطة كبيرة بين موظفي الدولة للظفر بمنصب السلطان (منسا)، وانتهت تلك الاضطرابات بوصول رجل من سلالة كيتا وأسمه محمود إلى السلطة بعد ان انتزعها من صندكي عام (793هـ / 1390م)[5].

وهكذا نلاحظ ان دور الرقيق في استلام السلطة أصبح واضحا في عهد دولة مالي واستمر فيما بعد في اجزاء اخرى فقد كان مستشار الاسكيا الحاج (محمد الأول) وأمين سره من الرقيق، اذ كان يرافق الاسكيا في جميع رحلاته وأعماله، أما في كانو فقد عين حاكمها محمد رومفة (1463-1499م) عددا من الخصيان في وظائف سياسية مهمة في الدولة وعندما سيطر بغودا على عرش دورة في كانو ذهب اليها ومعه جملة من الرقيق والأماء وكونوا اسرة حاكمة وفيها تعاقبوا على حكم البلاد ثمانية عشر ملكا استمروا حتى سقط حكمهم سنة (828هـ/1419م)[6].

---

1 تاجورا: هي بادية تقع على نحو ثلاثة عشر ميلاً شرق طرابلس، وتوجد فيها عدة قرى وبساتين مزروعة بالنخيل. انظر: الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط:1982، ج2، ص110. فتاح، 1996، ص186.

2 بن خلدون، 1956، ج6، ص202.

3 صندكي: تأتي بمعنى الوزير او رئيس الرقيق وفي هذه الحالة تسمى ديون صندكي. انظر: صبح الأعشى، 1987، ج5، ص297 -298.

4 موسى الثاني: هو أبن منسى جاطة حكم مالي في الفترة (776هـ-1375م) إلى (789هـ/1387م) وأمتاز بحسن السيرة فكان متبعاً لطريق العدل مختلفاً عن سياسة ابيه حتى وفاته. انظر : طرخان، 1973، ص180.

5 الالوري، 1965، ص81

6طرخان، 1975، ص182.

لقد كان للرقيق عموماً وللمحررين خصوصاً مكانة كبيرة في افريقيا فكان من اليسير وصول أحد افرادها إلى أعلى المناصب، بل لم ير سلاطين مالي ضيرا من ان يتزوجوا نساء هذه الطبقة (البولا)، وهذا ما حصل فعلا عندما تزوج حاكم دولة مالي ناري فامغان (ت 628هـ/ 1230م) من احدى الاماء فضلا عن اشتهار اثنتي عشرة اسرة من تلك الطبقة في دولة مالي، وكان للرقيق ولا سيما في دولة مالي دور كبير في استلام السلطة، فقد كان مؤسس اسرة التروريين عبداً وهو (منسا نوفن تاورا)، ولهذا بقي افراد تلك الاسرة يلقبون بالتروريين أو النوفيين نسبة لذلك الجد.

واحتل منصب فربا ــ رئيس الرقيق ــ، مكانة كبيرة في دولة مالي ايضا، فقد كان فربا حسين واصله من الرقيق حاكما على مدينة ولاته ــإحدى مدن دولة مالي ــ من قبل السلطان منسا سليمان، كما وصل الرقيق في البرنو إلى مناصب ادارية هامة، فقد كان المسطرامة ــ وتعني الحاكم ــ وهو حاكم الاقاليم الشرقية من الرقيق اذ يشغل منصب رئيس الخصيان المشرف على حريم القصر وهو كبير الخدم، كما كان من حقه ان يكون شاهدا على المحارم التي اصدرها السلطان كما هو الحال في ظهور أسم المسطرامة خادم الملك الحاج نصر في احد دساتير البلاد المسماة بالمحارم[1].

2.2 دورهم في مصر:

ومن ضمن الرقيق المحررين الذين تسلموا مناصب سياسية هامة في مصر كافور الاخشيدي، الذي جلب إلى مصر وعمره عشر سنين وذلك في سنة (310هـ/922م) فقد تم بيعه إلى محمد بن هاشم وهو احد المالكين للضياع والذي باعه بدوره لابن عباس الكاتب، الذي ارسله كهدية في يوم من الايام إلى محمد بن طغج الاخشيد وكان وقتها أحد قواد تكين امير مصر، وعندما وصلته الهدية ردها واخذ كافور بدلا عنها، فبدأ يترقى عنده في الخدم حتى صار من اخصهم[2].

لقد بدأ دور كافور السياسي بعد موت الاخشيد محمد بن طغج وذلك في سنة (335هـ/947م)[3]، اذ تسلم كافور الوصاية على ابنائه الواحد تلو الاخر فقد تسلم ابن الاخشيد محمد بن طغج المعروف بأبو القاسم أنوجور الحكم بعد أبيه تحت وصاية كافور والذي كان اثنائها قائما بالأمور، وحتى بعد وفاة أنوجور واستلام علي بن الاخشيد السلطة ظل لكافور الهيمنة على الحكم، فقد جاء كافور إلى بغداد لأخذ موافقة الخليفة المطيع لله

1 . طرخان ، 1975 ، ص155

2 . المقريزي، 1973، ج2، ص26

3 .ابن كثير، 1977، ج11، ص264

(334-363هـ/946-974م) وعاهده على الولاء، واثناء غياب كافور استغل رجل يُدعى غلبون الفراغ السياسي وسيطر على السلطة ولكن كافور لم يتركه فعندما عاد هاجمه وظفر به وقتله وسيطر على الحكم وخطب له على المنابر بعد وفاة علي بن الاخشيد ليصبح كافور حاكما بمصر سنة (355هـ/966م)[1].

كما كان أحد خدام الملك الصالح علي والمدعو بلال المغيثي ذا سلطة وكلمة مسموعة لدى آل الملك الصالح والذي كان سابقاً احد خدام الملك المغيث صاحب الكرك فقد تمتع بلال بمكانة كبيرة لدى السلاطين والحكام، فكان يجلس مع الامراء وله مكانة سياسية كبيرة وخاض معارك عدة حتى توفي سنة (699هـ/1299م) وهو خارج لقتال التتر برفقة الملك الناصر محمد بن قلاوون، اذ مات بالسوادة ودفن بها، امتازت فئة الرقيق في المجتمع الإسلامي عن مثيلاتها في المجتمعات الاخرى بميزات كثيرة، لم تقتصر على المعاملة الحسنة حسب بل امتدت لتشمل وصول اولئك الرقيق إلى السلطة واقترابهم من الخلفاء والسلاطين، فقد كان بدر الدولة الخادم الاسود من المقربين من الظاهر لإعزاز دين الله، وكان بدر الدولة هذا يتولى الشرطتين مسيطرا على مقاليد الامور، قائما بمتابعة اوامر الظاهر، فكان بدر الدولة يخرج مع الظاهر في المناسبات والزيارات التي يقوم بها وينوب عن الظاهر في حضور الاحتفالات العامة[2].

3.2. مشاركة الرقيق في بعض حركات التمرد:

اسهم الرقيق كغيرهم من طبقات المجتمع الافريقي في تكوين صورة الوضع السياسي في افريقيا ولا سيما في مصر، فقد كان لهم دور واضح في التمردات والحركات السياسية، وظهرت بصورة واضحة في مصر وذلك للتقارب الجغرافي بينها وبين مكان جلبهم من افريقيا جنوب الصحراء، فمنذ عهد كافور الاخشيدي كان لهم تأثير واضح في سياسة الدولة إلا ان دورهم تبلور خلال حكم الفاطميين بعد أزدياد عددهم في الجيش، فعملوا على الاشتراك في بعض التمردات تنفيذا لرغبة اسيادهم من الحكام واستمروا في دعمهم هذا حتى وصول الحاكم بامر الله الفاطمي إلى السلطة والذي ساندوه في الوقوف بوجه أهالي مصر سنة 386هـ/ 996م[3]، وتبع ذلك مشاركتهم مع العامة في مدينة تنيس في

1 ابن تغرى بردي، 1975، .ج4، ص201
2 المقريزي، 1973، ج2، ص3.
3 .البراوي، 1983، ص21

الوقوف ضد السلطة بزمن الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي سنة 415هـ/1024م، ثم تبع ذلك عدة تمردات كان لها اثر على سياسة البلاد ومنها:

أ. **تمرد سنة 454هـ/ 1062م :**

ازداد تاثير الرقيق في الاوضاع السياسية في افريقيا ولا سيما في عهد المستنصر الفاطمي الذي جلب الكثير منهم بتأثير من امه السودانية الاصل، فقد كان لهم اثر كبير في الفتن الحاصلة بين السودان والاتراك والتي جاءت في ظرف صعب مرت به مصر بسبب المجاعات والأوبئة التي حدثت في البلاد، ففي سنة (454هـ/ 1062م) ونتيجة للدعم المتواصل من ام المستنصر للرقيق السودان وامتعاض الاتراك من تصرفاتهم، بدأت الخلافات تظهر بين الطرفين وصولا إلى قمتها عندما قتل السودان أحد الاتراك بعد ان رفع سيفه على رجل منهم، فبدأت نتيجة ذلك حرب بينهم — ولا سيما بعد ان تبرأ المستنصر من افعال السودان تلك — قتل فيها عددا كبيرا من الرقيق السودان بناحية كوم شريك، وعملت ام المستنصر خلالها على دعم السودان بالمال والسلاح، وهذا ما ازعج الاتراك وأجج فيهم الكراهية لأم المستنصر حتى انتهت هذه الازمة بالصلح بين الطرفين[1].

لم تقتصر الفتنة بين الترك ورقيق السودان على منطقة معينة في مصر بل امتدت لتشمل الاسكندرية، ففي سنة (456هـ/ 1064م) امتدت الفتنة إلى الاسكندرية لتحصد عدد أخر من القتلى الذين يقدر عددهم بألف رجل من الطرفين بعد معركة جرت في منطقة الكرم في الاسكندرية[2].

ب. تمرد سنة 564 هـ/ 1168م : تعد فترة حكم الفاطميين في مصر من الفترات التي كثر فيها استخدام الرقيق السودان، في وحدات الجيش وكخدم في القصور وبيوت الأغنياء، وانسحب هذا الامر على تطورات الاوضاع السياسية في البلاد ففي سنة 564 هـ ثار السودان لمقتل مؤتمن الخلافة -أسمه الحقيق جوهر ويعمل في قصر العاضد الفاطمي -، الذي اراد التخلص من صلاح الدين الأيوبي، فحصل عكس ما كان يتمنى وتم كشف كتبه إلى الفرنج بعد ما تم القاء القبض على حامل الكتب في نعلين في يده، فقرر صلاح الدين قتل مؤتمن الخلافة فتم له ذلك وهو يتنزه، فلما سمع السودان بمقتله ثاروا على الامير صلاح الدين وكانوا "إذا اقاموا على وزير قتلوه، واجتاحوه وأذلوه، واستباحوه

1 . المقريزي، 1973، ج1، 243

2 ابن تغرى بردي، 1975، ص74.

واستحلوه"، وكانوا اكثر من خمسين الف رجل، وتحول غضبهم هذا إلى معركة كبيرة بين الطرفين دامت يومين، بعد ان تحرك للقائهم عسكر الناصر صلاح الدين بقيادة أبي الهيجاء، فالتقوا في منطقة بين القصرين[1].

وكانت طوائف السودان الريحانية والجيوشية والفرحية وغيرها من الطوائف تقاتل ضد جيش صلاح الدين، وكادت ان تنتصر عليه لولا تحرك تورانشاه – اخو السلطان – وارساله قوة اخرى استطاعت ان تقتل احد مقدمي السودان فانكسروا، وبدأت هزائمهم تتوالى وخرجوا من القاهرة وجيش صلاح الدين يلاحقهم بعد ان تم حصار محلتهم المسماة المنصورة وتخريب تحصيناتها وما ان سمعوا بذلك حتى هربوا وهم يلاحقون من قبل جيش الامير صلاح الدين (وتأخذهم السيوف حتى قتلوا تقتيلا وانقطع خبرهم"[2]، وربما هرب من نجا منهم إلى الصعيد ليلجأوا عند بني الكنز اذ رحبوا بهم لأسباب عدة كان من اهمها الاستفادة منهم كجنود مدربين للرد على هجوم صلاح الدين إذا ما هاجمهم الكنز، أو ربما رحبوا بهم لإثبات الولاء للفاطميين الذين عملوا على انهاء نفوذ الناصر صلاح الدين وتقوية مركزهم و المحافظة على الجند السودان[3].

وتُعد عملية التخلص من الجند السودان بعد مقتل مؤتمن الخلافة ايذانا بإنهاء نفوذ ذلك الجيش في مصر بعد ان كان يتمتع بمكانة بارزة في المجتمع المصري، لكن هذا النفوذ لم ينتهي بسبب تحالف أولئك الجند مع دولة الكنوز وقيامهم بالهجوم على مصر في سنة (568هـ/ 1172م) فقد شن رقيق السودان هجوما على الصعيد قاصدين اسوان، فيذكر ابن ابي طيء الحلبي ان السودان والرقيق اجتمعوا من بلاد النوبة وخرجوا في امم عظيمة وحينما وصلوا إلى اسوان كان بها أمير يُلقب بكنز الدولة، إذ أرادوا حصارها ونهبها، لكن سرعة تحرك كنز الدولة وابلاغه الامر إلى الملك الناصر صلاح الدين وطلب النجدة منه فوت الفرصة على الرقيق السودان، فقد وصل الشجاع البعلبكي قائد صلاح الدين ومعه كنز الدولة فوجدوا السودان قد ذهبوا عنها بعد ان خربوا أرضها، وعند اللقاء حدثت معركة عظيمة قتل فيها من الطرفين الكثير حتى هرب السودان وعاد الشجاع ليخبر صلاح الدين بما حصل، فأمر السلطان أخاه شمس الدولة توران شاه بن ايوب، للخروج إلى بلاد

1 . ابو شامة، 1962، ص451

2 . ابو شامة، 1962، ص451

3القوصي عطية، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، القاهرة : دار المعارف ، ط1، 1976م ، ص64

النوبة لقتالهم، فلقيهم عند قلعة ابريم، حتى حاصرها وفتحها ولم ير للبلاد غلة أو دخلا يرغب فيه فتركها وعاد إلى مصر بما غنمه من الرقيق والجواري وهو منتصر على السودان[1].

ج. تمرد سنة 570 هـ/ 1174م ضد السلطان صلاح الدين الايوبي:

بعد ان اسهم الكنز في افشال حملة الرقيق السودان من بلاد النوبة على اسوان متعاونا مع القائد صلاح الدين في ذلك، وعاد بنفسه في سنة 570هـ/1174م ليهاجم بلاد مصر ويقاتل ضد صلاح الدين الايوبي هذه المرة، فسار من الصعيد في مائة الف عبد اسود، محاولا اعادة الدولة الفاطمية للحكم، مرتكبا جريمة قتل اخو ابي الهيجاء والذي كان تابعا له على أحد الاقطاعات، فثار ابو الهيجاء لمقتل اخيه فأخرجه السلطان للقاء كنز الدولة ورده وأخذ الثأر منه، وكان مع ابي الهيجاء اخو السلطان الملك العادل ابو بكر وعز الدين موسك وجمع من العساكر، حتى وصلوا إلى مكان وصول كنز الدولة بعد ان كان قد قصد قوص وأعمالها، فجرت معركة عنيفة كسر فيها كنز الدولة وجنده السودان وغيرهم وهربوا امام قوة الجيش وزحفه، بعد ان قتل منهم عددا كبيرا لتنتهي بذلك تلك الحركة ضد صلاح الدين وحكمه[2].

ومن خلال استعراض تلك الاحداث نلاحظ ان للرقيق السودان دور ظاهر للعيان في مجريات التاريخ السياسي للمنطقة في تلك الفترة من خلال اسهامهم في معظم الاحيان في تلك الاحداث وان دورهم هذا كان مفيدا في وقت من الاوقات وفي بعض الاحيان كان هذا الدور فيه نوع من الخطر على الدولة في مصر وبلاد السودان.

.تحليل النتائج: من بين النتائج التي تم التوصل إليها خلال البحث، أن الرقيق السودان لم يصلوا الى مصر بين ليلة وضحاها وإنما كان وصولهم بشكل تدريجي أسهم فيه عقد معاهدة البقط سنة 31هـ بين المسلمين في مصر وحكام بلاد النوبة، واستمر ذلك الوصول حتى قيام الفاطميين ولاسيما على عهد المستنصر الفاطمي بجلب الكثير منهم بعد دعم أمه ذات الاصول الحبشية لذلك الأمر، وما اراد البحث اثباته يتمثل في ان التعامل الايجابي مع اولئك الرقيق هو مازاد من اعدادهم في مصر ومنحهم فرصة بقاء اطول، كما ان تمرداتهم ضد السلطة الحاكمة في مصر انحصرت بفترة حكم الايوبيين بسبب تجريدهم من مناصبهم ووظائفهم التي احتفظوا بها عبر قرون، ولم تكن تلك التمردات ذات طابع عرقي او ديني.

1 أبن الأثير، 1980، ص 386، 387

2 . ابن شداد، 1964، ص48

الخاتمة: في ختام البحث لابد من تسجيل بعض النتائج التي تم التوصل إليها من خلاله والمتمثلة في :

1-حظي الرقيق في ظل الدولة العربية الإسلامية بمكانة كبيرة على عكس مكانتهم لدى شعوب الأرض في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، أو في الدول والامبراطوريات التي كانت قائمة بعد الإسلام.

2-على الرغم من عدم صدور قرار رسمي بتحريم الرِق في القرآن الكريم يشير في إحدى اياته الى التحريم، إلا ان عملية القضاء على الرِق جاءت مرتبة ومتأنية وحققت نتائج كبيرة عبر تجفيف منابع الرِق وحصرها في رق الوراثة ورِق الحروب.

3-من بقي في الرِق بعد تجفيف نابعه حظي بمكانة كبيرة رفعته إلى مستوى الاحرار حينما اصبح المقياس بين الناس هو التقوى وليس الجنس او اللون او أي انتماء اخر.

4-وصلت تلك المكانة لحد قبول اولئك الرقيق في المجتمع خلال رقهم او بعده اقتداء بتعامل ووصايا الرسول محمد ﷺ فيهم، فقد دعى صحابته بالاعتناء بالرقيق وإطعامهم والباسهم مما يأكل ويشرب ويلبس السيد، كما فتح ابواب تحرير عديدة لهم شكلت بدورها المفتاح للقضاء على نظام الرِق ككل.

5-استلم عدد كبير من الرقيق السودان في بلادهم مناصب كبيرة وصلت لحد السلطنة، كما تقلد عدد اخر منهم تلك المناصب في البلدان التي كانوا رقيق فيها ولاسيما مصر.

6-كان النجاح حليف اولئك الرقيق المحررين الذين تولوا إدارة دول إسلامية كمصر وإمبراطورية مالي الإسلامية بسبب تقبل المجتمع لهم لأن نظرت التكبر والعرق المتعالي لم تكن موجودة في قاموس المسلمين.

7-لعب اولئك الرقيق دور واضح في تاريخ مصر عبر شغلهم وظائف عسكرية في الجيش لاسيما على عهد الفاطميين.

8-للرقيق السودان أثر في تاريخ مصر على عهد الايوبيين وتمثل ذلك الأثر في معاداتهم للأيوبيين ممثلين بصلاح الدين الايوبي ولاسيما بعد ان ضرب امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها في عهد الفاطميين.

المراجع:

الالوري، ادم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت : ط1، 1965.

البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، بيروت : مطبعة السعادة، ط1، 1983م.

البكري، أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر : 1857م.

ابن تغرى بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، القاهرة : االمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 1970.

حركات، إبراهيم، تجارة الرقيق في أفريقيا من خلال الموقفين العربي والأوربي، منشور في كتاب مسألة الرق في أفريقيا، تونس : ط2، 1989.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت : ط1، 1956.

أبو خليل، شوقي ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دمشق : ط5، 2002.

الدالي، الهادي المبروك، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001م.

زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقين، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1970.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن أسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين ، القاهرة :ط2، 1962.

طرخان، ابراهيم علي، دولة مالي الإسلامية، القاهرة : 1973م .

طرخان، إبراهيم علي، إمبراطورية البرنو الإسلامية

فتاح، فوزية يونس، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، رسالة دكتوراه : العراق، كلية الاداب، جامعة الموصل، 1996.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، بيروت : 1988م

القلقشندي، احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشى، القاهرة : دار الكتب العلمية، ط1، 1985.

القوصي، عطية، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، القاهرة : دار المعارف ، ط1، 1976م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت : دار الكتب العلمية، ط1، 1977م.

المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة : دار الكب العلمية، ط1، 1418هـ.

المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك، القاهرة :1955 .

نوري، دريد عبد القادر، سياسة صلاح الدين في مصر وبلاد الشام والجزيرة (570هـ-1174م) إلى (589-1193م)، العراق : ط1، 1976.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة : دار المعارف، ط1، 1953.

الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، الرباط : دار الرباط للطباعة، ط1، 1982.

Lugard, L.A,(1964) , Atropical depend ency , London, Anoutline of the Ancient History of the western sudan.

E.J. Murphy, History of African Civilization , New York, 1979